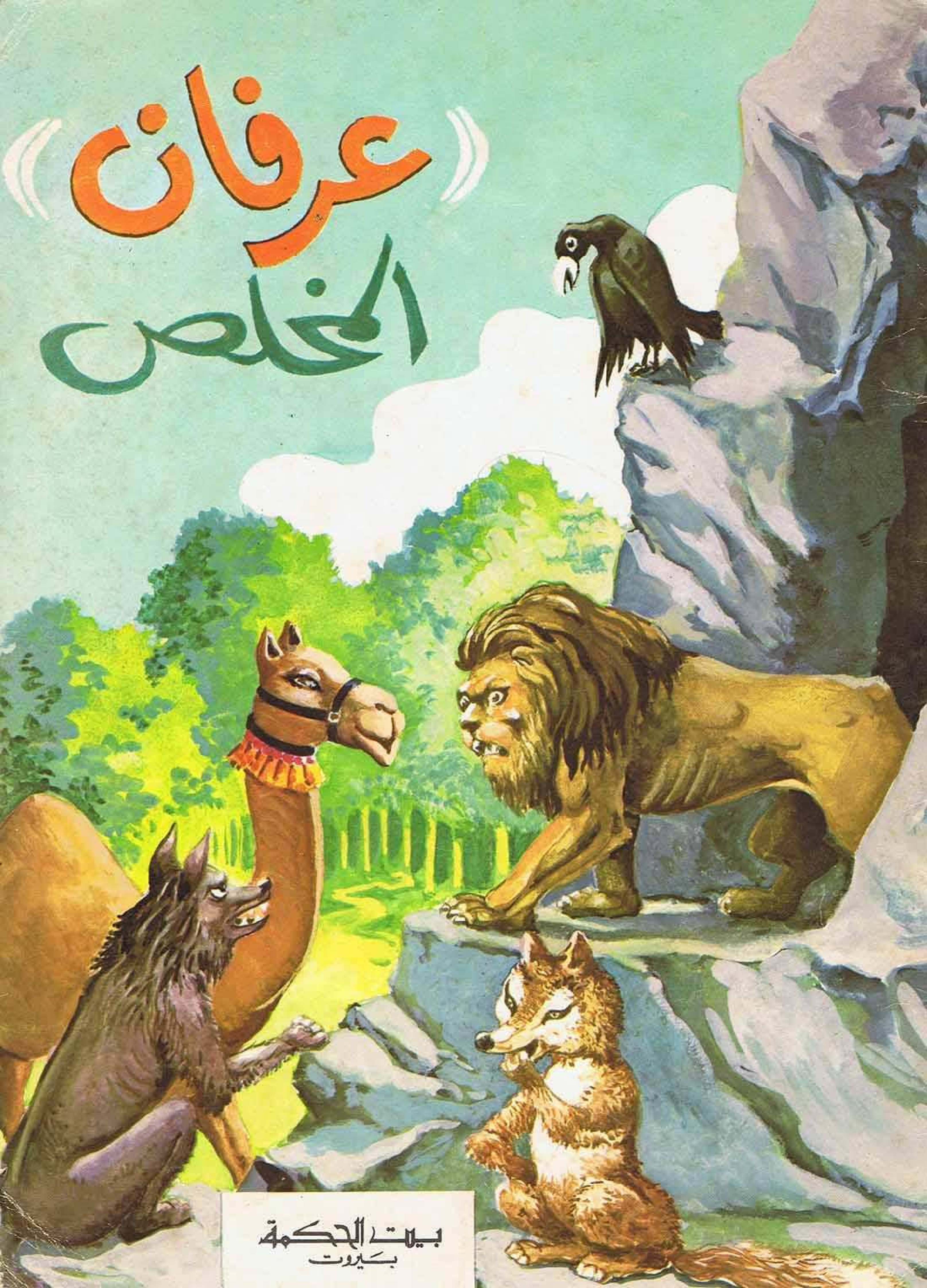
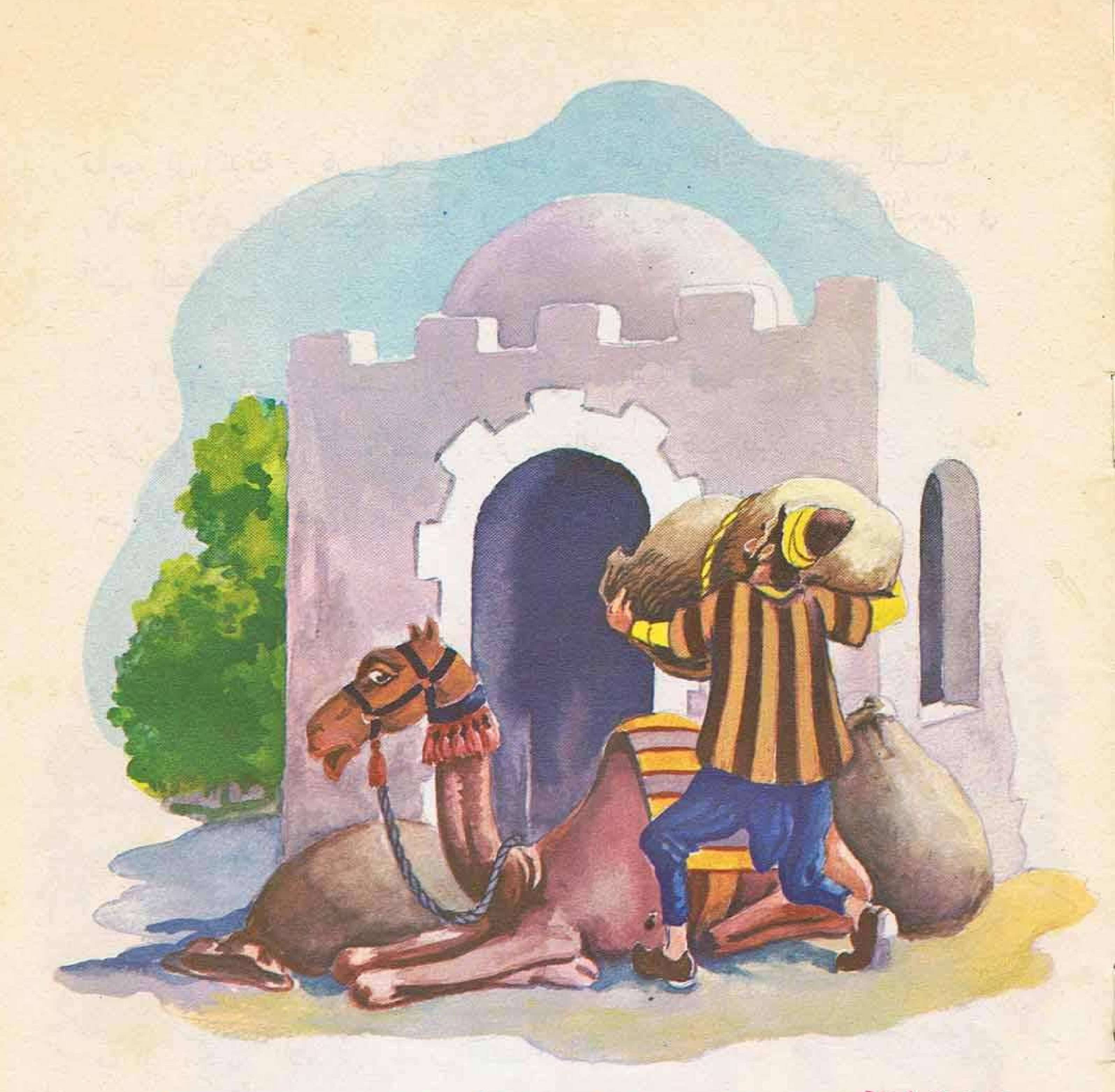

«عرفان»
المخلص
بيت الحكمة
بيروت



الجمل

«عِرْفان» حَيَوانٌ لطيفٌ . نَشيطٌ ، مُجْتَهِدٌ ، يَعيشُ مَعَ سَيِّدِهِ في مَزْرَعَةٍ بَعيدَةٍ عَنِ ٱلمَدينَةِ .

كُلَّ صَبـاحٍ يَسْتَيْقِظُ « عرفان » مِنْ نَوْمِهِ باكِراً ، ويَسْتَعِدُّ لِلْعَمَلِ . يأْتي إلَيْهِ سَيِّدُهُ ، فَيُحَمِّلُهُ أَكْياسَ القَمْحِ ، أو ٱلخُضْرَةِ ، ويأْخُذُهُ إلى سُوقِ ٱلمَدينَةِ لِيَبيعَها فيها .

في صَباحِ أَحَدِ ٱلأَيّامِ حَمَلَ « عرفان » على ظَهْرِهِ أَكْياساً ثَقيلَةً ، وسارَ وَراءَ

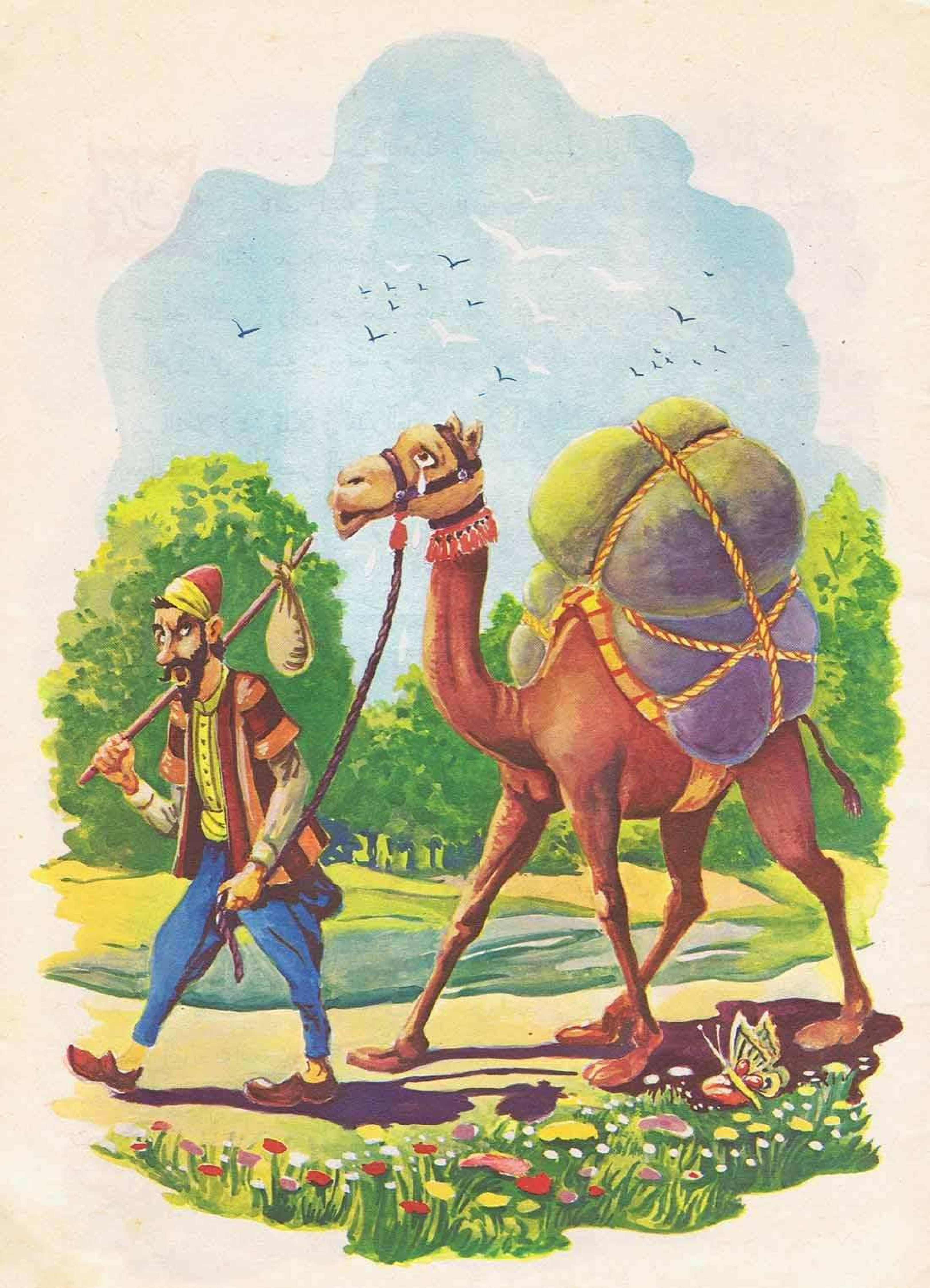
صاحِبِهِ إلى ٱلْمدِيْنَةِ . كانَ ٱلعُشْبُ ٱلاخْضَرُ ، ٱلطَّرِيُّ ، ٱلنَّاعِمُ ، يُغَطِّي ٱلغـابَة . وكانتِ ٱلأَزْهـارُ ٱلجَمِيْلَةُ تَنْتَشِرُ في ٱلسُّهُوْلِ ٱلواسِعَةِ ، كَما تَنْتَشِرُ ٱلنُّجُوْمُ في ٱلسَّماءِ ٱلصَّافِيَةِ .

رأى « عرفان » ٱلعُشْبَ ٱلأَخْضَرَ يُغَطِّي ٱلغابَةَ ، فَجـاعَ ؛ وَرَأَى ٱلفَراشاتِ تَرْقُصُ فَوْقَ ٱلأَزْهارِ ، فَٱبْتَسَمَ ، وَفَرِحَ قَلْبُهُ . تَوَقَّفَ قَلِيْلاً . وَلَكِنَّ صاحِبَهُ أَحسَّ بِتَوَقُّفِهِ ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ ، وَشَدَّ حَبْلَهُ ، وَصاحَ بِهِ :

ـ إمْشِ أيُّها ٱلكَسْلانُ ! عَجِّـلْ ! أُرِيْدُ أَنْ أَصِلَ إلى ٱلْمَدِيْنَةِ قَبْلَ طُلُوْعِ ٱلشَّمْسِ !

مَشَى « عرفان » وراءَ صاحِبِهِ حَزِيْناً . هُوَ يَعْمَلُ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ ٱلصَّباحِ إلى ٱلْمَساءِ ، فَلِماذا يَقُوْلُ عَنْهُ صاحِبُهُ إِنَّه كَسْلانُ ؟! هُوَ يَتْعَبُ كَثِيراً ، وَلَكِنَّهُ لا يَشْتَكِي ، وَلا يَطْلُبُ شَيْئاً . فَلِماذا لا يَسْمَحُ لَهُ سَيِّدُهُ بِأَنْ يَرْتاحَ قَلِيْلاً ؟ لِماذا لا يُعْطِيْهِ في كُلِّ أُسْبُوْعٍ عُطْلَةً قَصِيْرَةً ، يَذْهَبُ فِيْهـا إلى ٱلْحُقُوْلِ وَٱلأَحْراجِ ، فَيَأْكُلُ ٱلعُشْبَ ٱللَّذِيْذَ ، وَيَشْرَبُ ٱلْمـاءَ ٱلطَّيِّبَ ، وَيُلاعِبُ فَراشاتِ ٱلسُّهُوْلِ ، وَيُراقِبُ طُيُوْرَ ٱلسَّماءِ ؟

هَكَذا فَكَّرَ « عرفان » وَهُـوَ يَمْشِي ، فَحَزِنَ كَثِيراً ، وَبَكَى ! وَلَكِنَّ صاحِبَهُ لَمْ يُحِسَّ بِحُزْنِهِ ، وَلَمْ يَرَ دُمُوْعَهُ ، فَتابَعَ طَرِيْقَهُ إلى ٱلْمَـدِيْنَةِ . وَهُناكَ باعَ ٱلأَكْياسَ ٱلَّتِي كانَ « عرفان » يَحْمِلُها .



«عرفان» وَصاحِبُهُ ٱلْمَدِيْنَةَ ، وَسارا عائِدَيْنِ إلى ٱلْمَزْرَعَةِ .

كانَتْ أَشِعَّةُ ٱلشَّمْسِ قَوِيَّةً جِداً . وَكانَ ٱلطَّرِيْقُ مِنَ ٱلْمَدِيْنَةِ إلى ٱلغابَةِ طَوِيْلا جِداً .

ضَرَبَتِ ٱلشَّمْسُ رَأْسَ صاحِبِ « عرفان » ، فَشَعَرَ بِأَلَمٍ شَدِيْدٍ وَعَطَشٍ ، وَتَعِبَ ، وَسالَ ٱلْعَرَقُ على جَبِيْنِهِ . وَلَمّا وَصَلَ إلى ٱلْغابَةِ قالَ « لِعِرْفان » :

ــ لماذا لا نَرْتاحُ قَلِيْلاً في هَذِهِ ٱلْغابَةِ ؟ سَأَنامُ أنا تَحْتَ هَذِهِ ٱلْأَشْجارِ ، وَتَأْكُلُ أَنْتَ مِنْ هَذا ٱلْعُشْبِ ٱلْأَخْضَرِ ٱلْقَرِيْبِ .

نامَ صاحِبُ «عرفان» . نامَ نَوْماً عَمِيْقاً . نَظَرَ إِلَيْهِ « عرفان » ، وَقالَ في نَفْسِه :

ــ «مُعَلمِي نائِمٌ ، وَأَنا غَيْرُ مَرْبُوْطٍ . سَأَبْتَعِدُ قَلِيْلاً ، وَأَزُوْرُ هذِهِ ٱلْغابَةَ ٱلْجَمِيْلَةَ »

مَشَى « عرفان » سَعِيْداً ، خَفِيْفاً ، فَرَأَى أَرْنَبَةً تَلْعَبُ بَيْنَ ٱلْأَشْجارِ.

قالَ لها «عرفان» :

ــ صَباحَ ٱلْخَيْرِ أَيَّتُها ٱلْأَرْنَبَةُ ٱلجَمِيْلَةُ . ما ٱسْمُكِ ؟

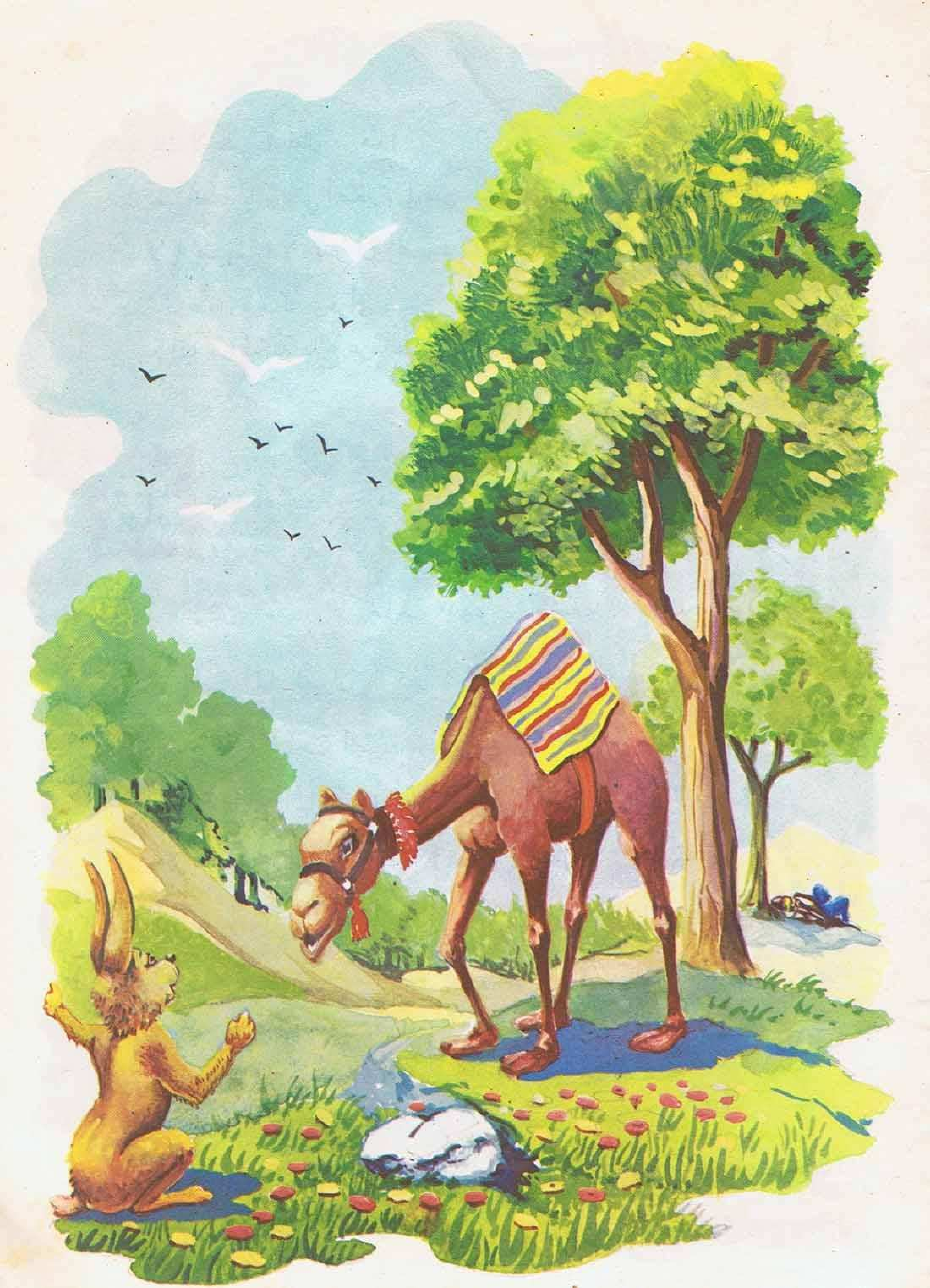
ــ صَباحَ ٱلْخَيْرِ أَيُّها ٱلْحَيَوانُ ٱلْكَبِيْرُ . إِسْمِي « لاهِيَة » .

ــ يا « لاهية » !هَلْ أَنْتِ وَحْدَكِ في هَذا ٱلْمَكانِ ٱلْجَمِيْلِ ؟

ضَحِكَتْ « لاهِيَة » وَقالَتْ :

ــ لا يا صَدِيْقِي ! أَلا تَعْرِفُ أَنَّ حَيَواناتٍ كَثِيْرَة ، صَغِيْرَةً وَكَبِيْرَةً ، تَعِيشُ في هَذِهِ ٱلْغابَةِ ٱلواسِعَةِ ؟ تَعالَ مَعِي . سَأُعَرِّفُكَ عَلَيْها .

رَكَضَتِ ٱلْأَرْنَبَةُ ، وَتَبِعَها «عرفان» . وكانَتْ خَفِيْفَةً سَرِيْعَة لا تَمْشِي مَشْياً ، وَلَكِنَّها تَقْفِزُ قَفْزاً . وَبَعْدَ قَلِيلٍ تَعِبَ «عرفان» ، فَتَوَقَّفَ عَنِ ٱلسَّيْرِ . إِلْتَفَتَتْ إِلَيْهِ « لاهِيَة » مُتَعَجِّبَةً ، وَسَأَلَتْهُ :



ـ لِماذا لا تَمشِي ؟ تَعالَ ، هَيَّا !

ـ لَقَدْ تَعِبتُ يا رَفِيقَتِي ٱلصَّغِيرَةَ ! قِفِي قَلِيلاً لِنَرْتاحَ !

ـ لا يا صَدِيقِي ! لا أَقدِرُ أَنْ أَقِفَ ! سَأَترُكُكَ ٱلآنَ ! وَداعاً !

نَظَرَ « عِرفان » حَولَهُ ، فَرَأَى نَفسَهُ وَحِيداً . بَحَثَ عَنْ سَيِّدِهِ ، فَلَمْ يَجِدْهُ . أَرادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ ، وَلٰكِنَّهُ ضاعَ عَنِ ٱلطَّرِيقِ !

فُجاءَةً

سَمِعَ « عِرفان » صَوتاً قَوِيّاً ، قَوِيّاً ، قَوِيّاً . خافَتِ ٱلغابَةُ كُلُّها مِنْ هٰذا ٱلصَّوْتِ ، فَٱهتَزَّتِ ٱلأَشجارُ ، وَوَقَعَتْ أَوْراقُها عَلَى ٱلأَرْضِ ، وَهَرَبَتِ ٱلفَراشاتُ ، وَسَكَتَتِ ٱلطُّيُورُ .

نَظَرَ « عرفان » يَبْحَثُ عَنْ صاحِبِ ٱلصَّوْتِ ٱلمُخِيفِ . ثُمَّ سَمِعَهُ يَقُولُ لَهُ :

ـ مَنْ أَنتَ أَيُّها ٱلحَيَوانُ ٱلكَبِيرُ ؟ وَكَيفَ أَتَيتَ إِلى مَملَكَتِي ؟

رَأَى « عرفان » صاحِبَ ٱلصَّوْتِ ، فَأَجابَهُ :

ـ أَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها ٱلحَيَوانُ ٱلغَرِيبُ ! وَمَنْ أَنتَ ؟

ضَحِكَ ٱلحَيَوانُ صاحِبُ ٱلصَّوْتِ ٱلمُخِيفِ ، وَقالَ :

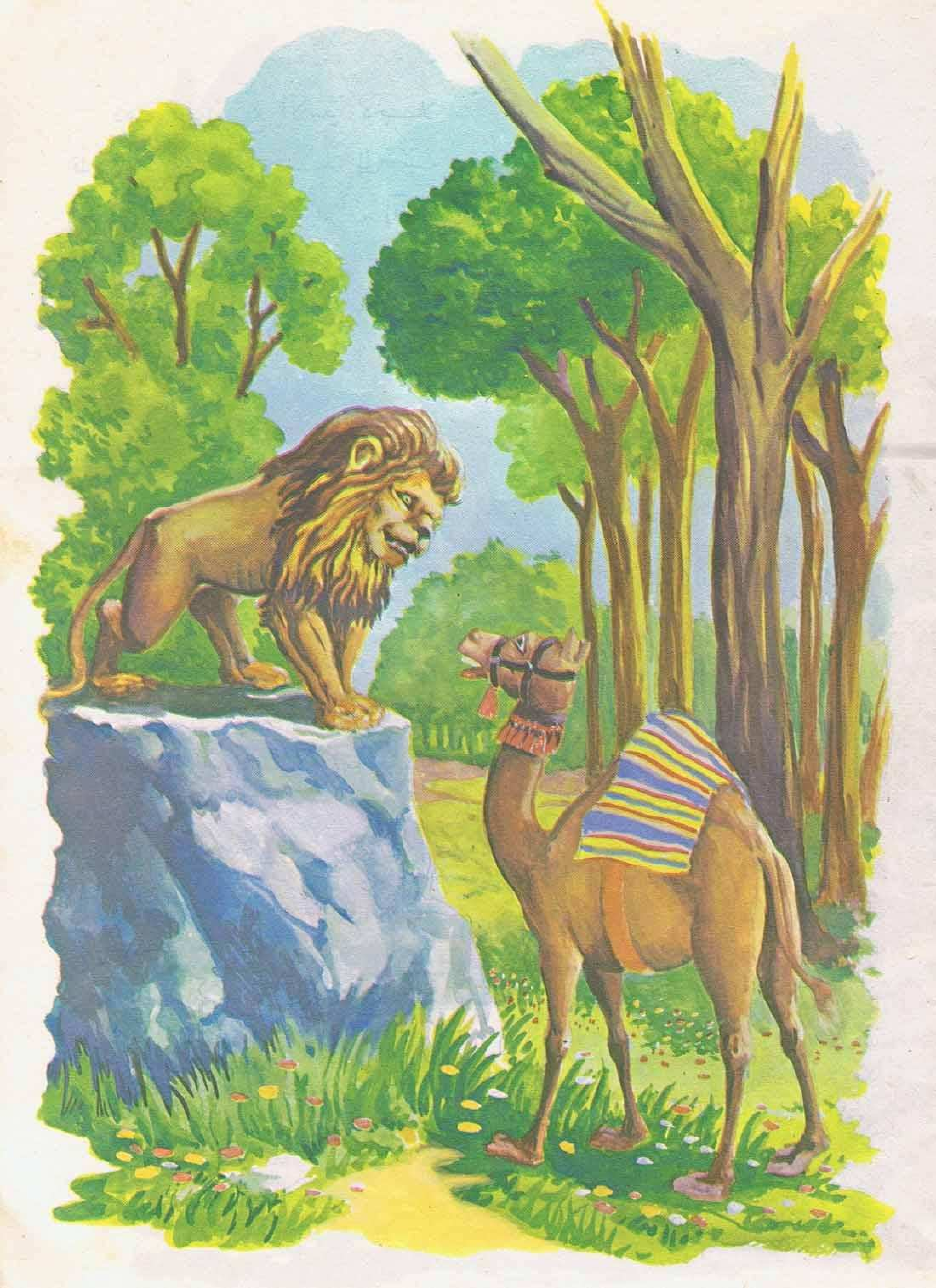
ـ أَلا تَعرِفُنِي ؟ أَنا ٱلأَسَدُ ، مَلِكُ ٱلوُحُوشِ ، وَسَيِّدُ ٱلغاباتِ !

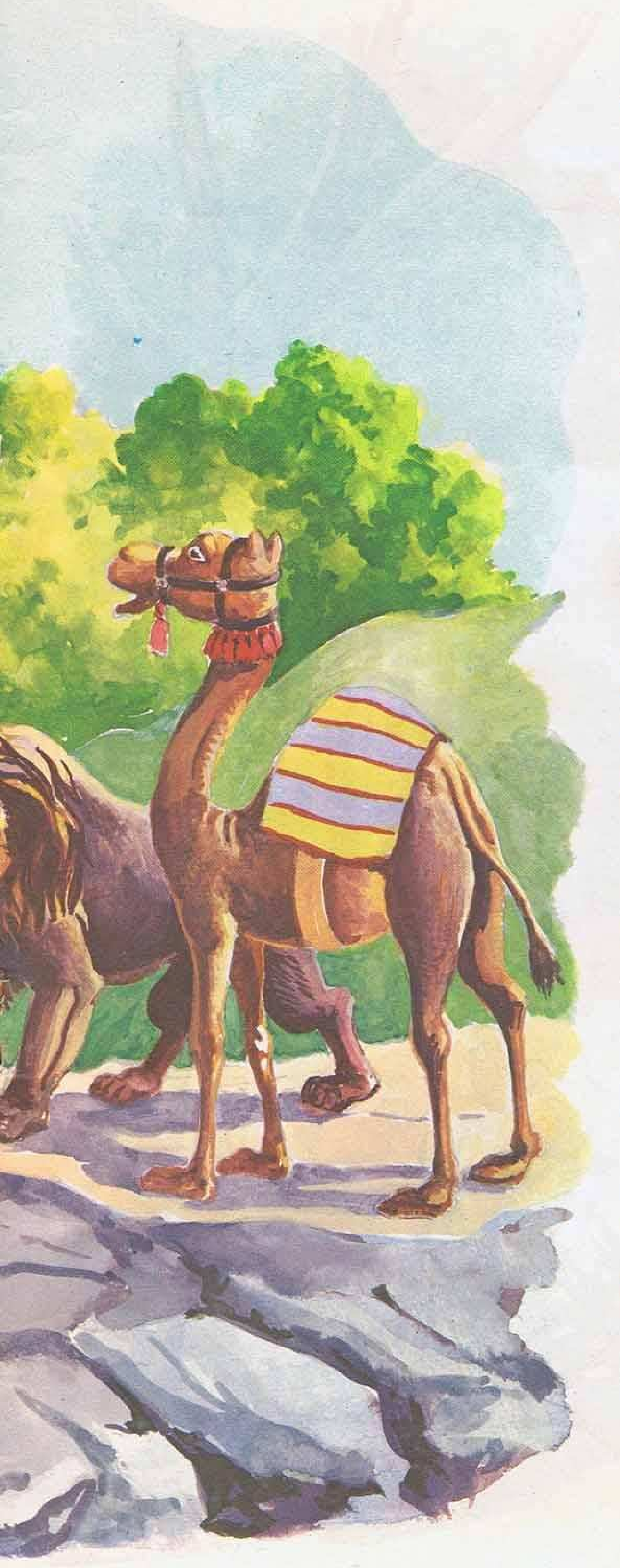
كانَ « عرفان » قَدْ سَمِعَ مِنْ أُمِّهِ أَخبـارَ ٱلأَسَدِ مَلِكِ ٱلوُحُوشِ . خافَ « عرفان » كَثِيراً ! سَجَدَ أَمامَ ٱلأَسَدِ ، وَقالَ :

ـ مَوْلايَ ٱلأَسَدَ ! أَنا ٱلجَمَلُ ! أَنا خادِمُكَ ٱلمُطِيعُ !

إِقتَرَبَ مِنْهُ ٱلأَسَدُ وَقالَ :

ـ قُمْ أَيُّها ٱلجَمَلُ ! أَنتَ حَيَوانٌ مُهَذَّبٌ ، لَطِيفٌ . تَعالَ مَعِي ، وَلا تَخَفْ !





ذَهبَ ٱلْجَمَلُ مَعَ ٱلْأَسَدِ . دَخَلا قلبَ ٱلغابَةِ . ثُمَّ وَصَلا إلى بَيْتِ ٱلْأَسدِ ، وَكانَ على بابِهِ حُرَّاسٌ . إقْتَربَ ٱلْأَسدُ مِنَ ٱلْحُرَّاسِ وَقالَ لَهُمْ :

ـ هَذا ٱلْحَيَوانُ هُوَ ٱلْجَمَلُ . وَجَدْتُهُ ٱلآنَ في ٱلْغابَةِ . هُوَ ، مُنْذُ ٱلْآنَ ، صَدِيقِي وَرَفِيقِي .

ثُمَّ أشارَ ٱلْأَسَدُ إلى حُرَّاسِهِ ، وَقالَ لِلْجَمَلِ :

ـ هَذا هُوَ ٱلذِّئْبُ ، وَهُوَ يَحْرُسُ بَيْتِي نَهاراً . وَهَذا هُوَ ٱلْغُرابُ ، وَهُوَ يَحْرُسُ بَيْتِي لَيْلاً . وَهَذا هُوَ ٱلثَّعْلَبُ خادِمِي .

سَلَّمَ ٱلْحُرَّاسُ ٱلثَّلاثَةُ على ٱلْجَمَلِ قائِلِينَ :

ـ أهْلاً وَسَهْلاً بِصَدِيقِ مَلِكِنا !

ودَخَلَ ٱلْأَسَدُ وَٱلْجَمَلُ إلى البَيْتِ يَرْتاحانِ .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ صَفَّقَ ٱلْأَسَدُ بِيَدَيْهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ٱلثَّعْلَبُ ، وَٱنْحَنى أمامَه . قالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ :

ـ أحْضِرْ لَنا ٱلطَّعامَ أيُّها ٱلثَّعْلَبُ .



ـ سَمْعاً وطاعَةً يا مَوْلايَ !

غابَ ٱلثَّعْلَبُ قَليلاً ، ثُمَّ عـادَ يَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ خَروفاً صَغيراً مَقْتولاً . إلتَفَتَ ٱلْأَسَدُ إلى ٱلْجَمَلِ ، وَدَعاهُ لِتَناوُلِ ٱلطَّعامِ مَعَهُ . وَلَكِنَّ ٱلْجَمَلَ ٱعْتَذَرَ بِلُطْفٍ قائِلاً :

ـ أنا ، يا مَوْلايَ ، آكُلُ ٱلْعُشْبَ ، وَلا آكُلُ ٱللَّحْمَ أَبَداً . شُكْراً لَـكَ على دَعْوَتِكَ .

وَلَكِنَّ ٱلْأَسَدَ لَمْ يَرْضَ أَنْ يَبْقى صَديقُهُ ٱلْجَمَلُ مِنْ غَيْرِ طَعامٍ ، فَطَلَبَ مِنَ ٱلثَّعْلَبِ أَنْ يُحْضِرَ لَهُ أَطْيَبَ عُشْبٍ في ٱلْغابَةِ .

وَعاشَ ٱلْجَمَلُ مَعَ ٱلْأَسَدِ سَعيداً . كانَ يأْكُلُ ، وَيَلْعَبُ ، وَيَتَنَزَّهُ في ٱلْغابَةِ ، مِنْ غَيْرِ أَن يُزْعِجَهُ أَحَدٌ مِنَ ٱلْحَيَواناتِ ٱلْمُفْتَرِسَةِ ، لِأَنَّهُ صَديقُ ٱلْمَلِكِ .

كانَ ٱلْأَسَدُ يَخْرُجُ كُلَّ صَباحٍ إلى ٱلصَّيْدِ ، فَيَصْطـادُ ٱلْأَرانِبَ ، وَٱلْخِرافَ ، وَٱلْأَبْقارَ . كانَ يأْكُلُ شَيْئاً مِنْهـا ، وَيَتْرُكُ ٱلْباقي لِلذِّئْبِ وَٱلثَّعْلَبِ وَٱلْغُرابِ .

وَفي أَحَدِ ٱلْأَيّامِ رَجَعَ ٱلْأَسَدُ مِنَ ٱلصَّيْدِ وَٱلدِّماءُ تَسيلُ مِنْ جِسْمِهِ . أَسْرَعَ إلَيْهِ ٱلْجَمَلُ وَٱلذِّئْبُ وَٱلثَّعْلَبُ وَٱلْغُرابُ ، وَصاحُوا بِصَوْتٍ واحِدٍ :

ـ مَوْلانا ! ماذا بِكَ ؟ مَنْ جَرَحَكَ ؟

أَجابَ ٱلْأَسَدُ بِصَوْتٍ ضَعيفٍ :

ـ تَقاتَلْتُ مَعَ فيلٍ ضَخْمٍ دَخَلَ أَرْضي مِنْ غَـيْرِ إِذْنٍ ، فَقَتَلْتُهُ . وَلَكِنَّهُ أَصابَني بِنابِهِ ، وَجَرَحَني في صَدْري .

تَقَدَّمَ ٱلْجَمَلُ مِنَ ٱلْأَسَدِ ، فَنَظَّفَ جِراحَهُ . ثُمَّ جَلَسَ قُرْبَهُ يَسْهَرُ عَلَيْهِ ، وَلا يُفارِقُهُ أَبَداً .



مَرِضَ الأَسَدُ مَرَضاً شَدِيداً ، وَلَمْ يَقْدِرْ على الصَّيْدِ . بَقِيَ أَيّاماً لا يَأْكُلُ ، فَجاعَ ؛ وَجاعَ مَعَهُ الذِّئْبُ وَالثَّعْلَبُ وَالغُرابُ ، لِأَنَّ الأَسَدَ أَصْبَحَ لا يَصْطادُ لَهُمْ شَيْئاً .

إِجْتَمَعَ الذِّئْبُ وَالثَّعْلَبُ وَالغُرابُ . كانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا الجَمَلَ ، وَلَكِنَّهُمْ كانُوا يَخافُونَ مِنَ الأَسَدِ ، لِأَنَّهُ يُحِبُّ الجَمَلَ وَيُدافِعُ عَنْهُ . لِذَلِكَ فَكَّرُوا أَنْ يَأْكُلُوا الجَمَلَ بِالحِيلَةِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَغْضَبَ مِنْهُمُ المَلِكُ .

قالَ الثَّعْلَبُ ، وَهُوَ مُحْتالٌ خَبِيثٌ :

ـ نَذْهَبُ لِزِيارَةِ الأَسَدِ . وَكُلُّ واحِدٍ مِنّا يَقُولُ لَهُ : « أَنْتَ جائِعٌ أَيُّها المَلِكُ ، وَلا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْرُجَ لِلصَّيْدِ . كُلْنِي ، وَلا تَمُتْ جُوعاً ! » وَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ صاحِباهُ : « لَحْمُكَ رَدِيءٌ ، يُضِرُّ بِصِحَّةِ مَلِكِنا » . وَهَكَذا ، حَتَّى يَأْتِيَ دَوْرُ الجَمَلِ . فَحِينَ يَقُولُ الجَمَلُ لِلأَسَدِ : « كُلْنِي أَيُّها المَلِكُ ، وَلا تَمُتْ جُوعاً » ، نَقُولُ لَهُ كُلُّنا : « أَجَلْ ، إِنَّ لَحْمَكَ طَرِيٌّ لَذِيذٌ ، وَهُوَ يُفِيدُ المَلِكَ وَيُغَذِّيهِ » ! فَيَقْبَلُ الأَسَدُ ، وَيَقْتُلُ الجَمَلَ . يَأْكُلُ مِنْهُ قَلِيلاً ، وَيَتْرُكُ الباقِي لَنا ، فَنَأْكُلُ وَنَشْبَعُ !

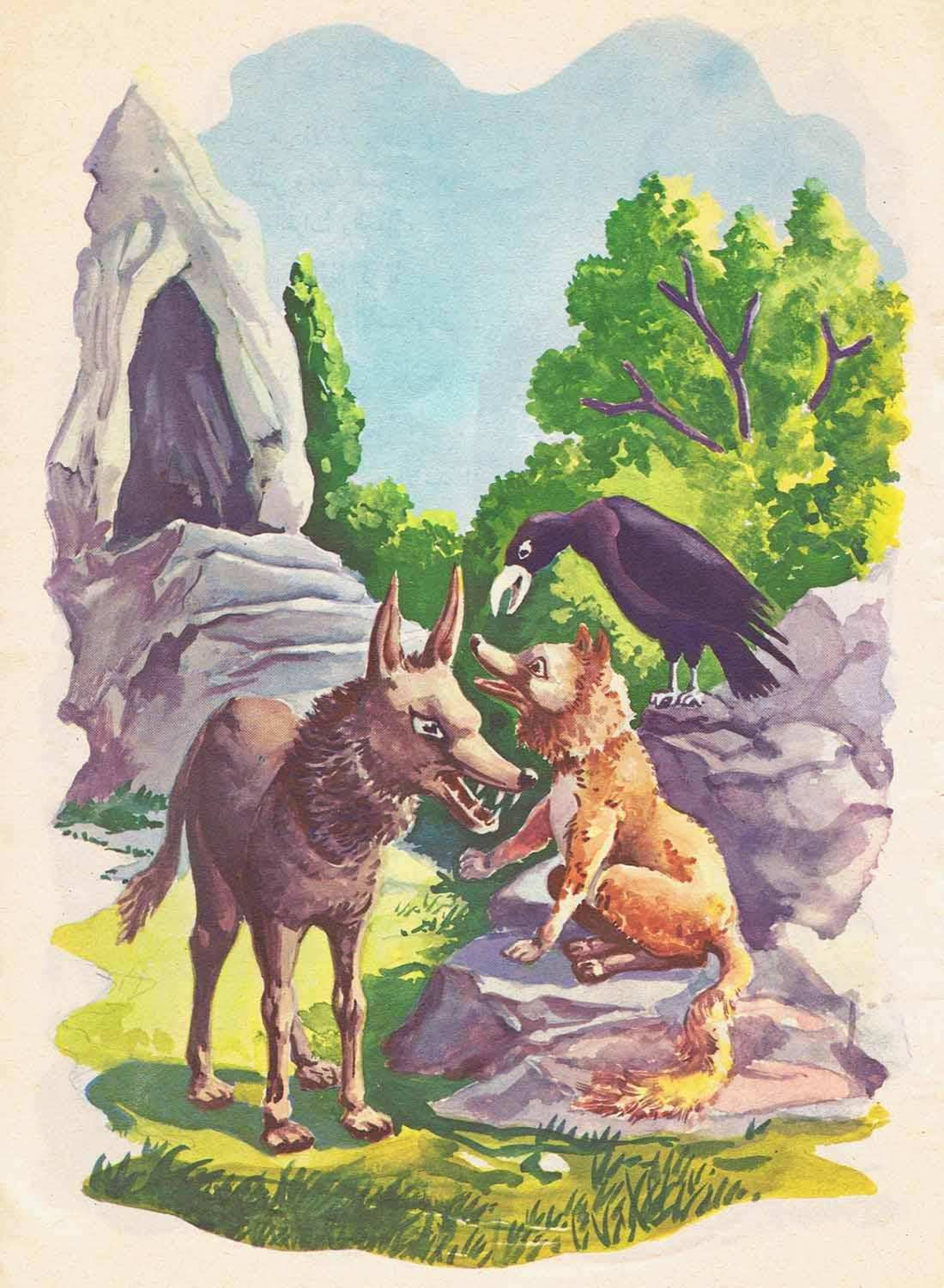
في صَباحِ اليَوْمِ التّالِي دَخَلَ الذِّئْبُ وَالثَّعْلَبُ وَالغُرابُ على الأَسَدِ ، وَأَخَذُوا مَعَهُمُ الجَمَلَ .

سَلَّمَ عَلَيْهِ الجَمَلُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ صِحَّتِهِ . أَجابَ الأَسَدُ :

ـ أَنا ضَعِيفٌ أَيُّها الصَّدِيقُ ، وَلا أَقْدِرُ على الوُقُوفِ .

ثُمَّ التَفَتَ الأَسَدُ إِلى الذِّئْبِ وَالثَّعْلَبِ وَالغُرابِ ، وَقالَ :

ـ إِذْهَبُوا إِلى الغابَةِ وَاصْطادُوا لِي شَيْئاً آكُلُهُ . أَنا جائِعٌ .



تَقدَّمَ الذِّئبُ مِنَ الأَسدِ وقالَ :

ـ سَيِّدي ، كُلْني وتَغذَّ بِلَحْمي .

صاحَ الثَّعْلَبُ والغُرابُ والجَملُ :

ـ لَحمُكَ قليلٌ ، وطَعمُهُ كَريهٌ .

ثُمَّ تَقدَّمَ الثَّعلبُ مِنَ الأَسَدِ وقالَ :

ـ مَوْلايَ الأَسَدَ ! كُلْني ، واجْعَلْ مِنْ لَحْمي غِذاءً لَكَ .

صاحَ الذِّئبُ والغُرابُ والجَملُ :

ـ لا ! إنَّ لَحمَكَ لا يُشبِعُ الأَسَدَ !

قالَ الغُرابُ :

ـ أيُّها المَلِكُ ! حَياتي فِداكَ ! كُلْني ، ولا تَجُعْ !

صاحَ الذِّئبُ والثَّعْلَبُ والجَملُ :

ـ لَحْمُ الغُرابِ لا يُشبِعُ المَلِكَ ! إذْهَبْ ، فأَنتَ لا تَنفَعُ !

عِندَئِذٍ تَقدَّمَ الجَملُ الطَّيِّبُ مِنَ الأَسدِ وقالَ :

ـ أمّا أنا فَلحمي طَيِّبٌ شَهِيٌّ ، وَهوَ يُشبِعُ مَوْلانا ! كُلْني يا سَيِّدي !

صاحَ الذِّئبُ والثَّعلبُ والغُرابُ :

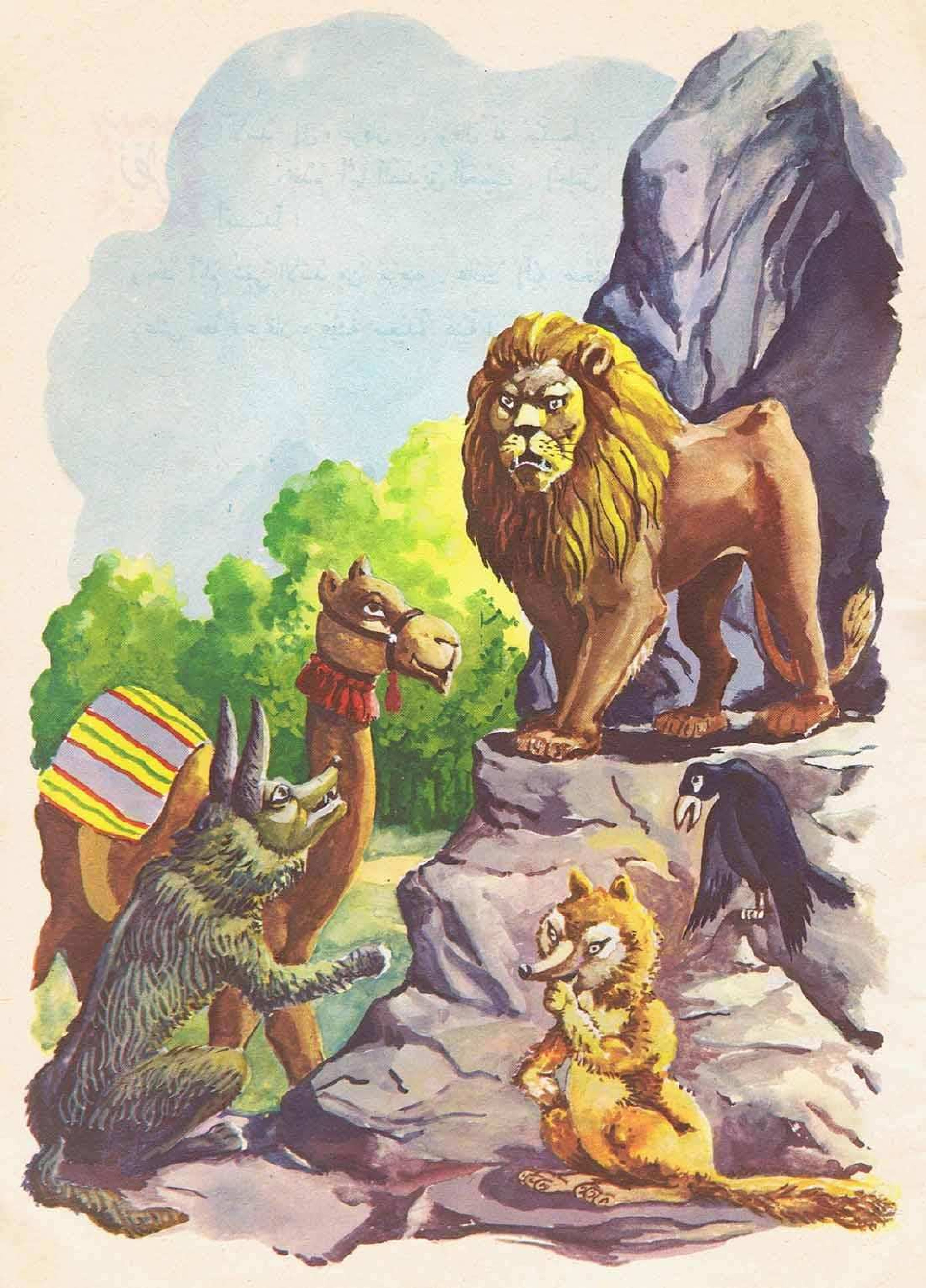
ـ الجَمَلُ يَقولُ الحَقَّ ! كُلْهُ ! كُلْهُ يا مَوْلانا !

ثُمَّ هَجَمُوا على الجَمَلِ ، وأَمسَكُوا بِهِ ، وقَدَّموهُ لِلأَسَدِ .

ولٰكِنَّ الأَسَدَ زَأَرَ زَئِيراً شَديداً ، وصاحَ بأعلى صَوْتِهِ :

ـ أيُّها الثَّعلَبُ المُحتالُ ، أيُّها الذِّئبُ الكَذّابُ ، أيُّها الغُرابُ القَبيحُ ! أيُّها الخُبَثاءُ ! سَمِعْتُكُمْ أمسِ تَتحادَثُونَ . عَرَفْتُ حيلَتَكُمْ ! تُريدُونَ مِنّي أنْ آكُلَ صَديقِيَ الجَمَلَ ! لا أيُّها الخُبَثاءُ ! لَنْ آكُلَ صَديقِي الَّذي يُحِبُّني . أُخرُجوا مِنْ هُنا قَبلَ أنْ أَقتُلَكُمْ !

هَرَبَ الذِّئبُ إلى قَلبِ الغابَةِ . ولَحِقَ بِهِ الثَّعْلَبُ . أمّا الغُرابُ فَقَدْ طارَ عالِياً .

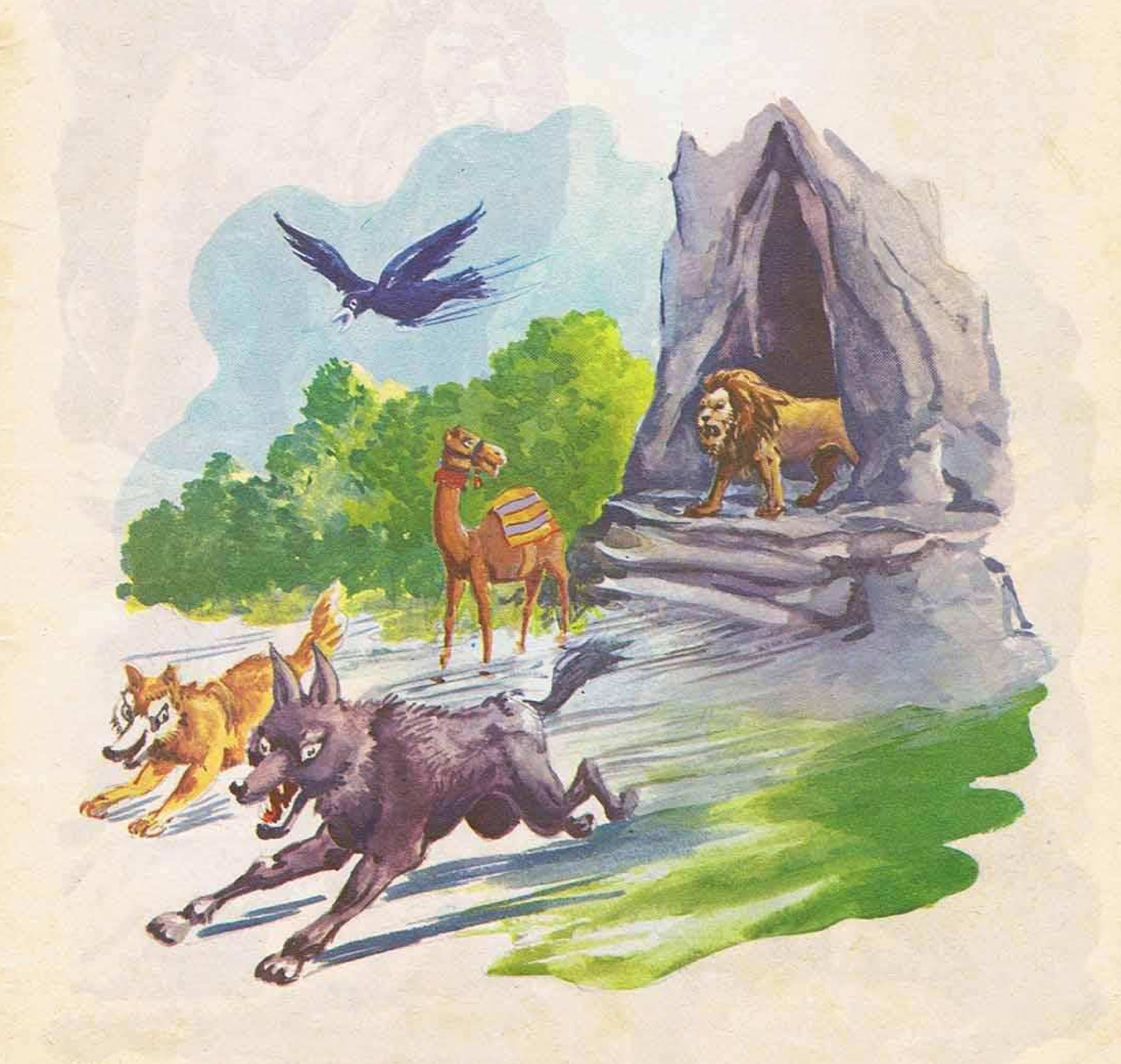


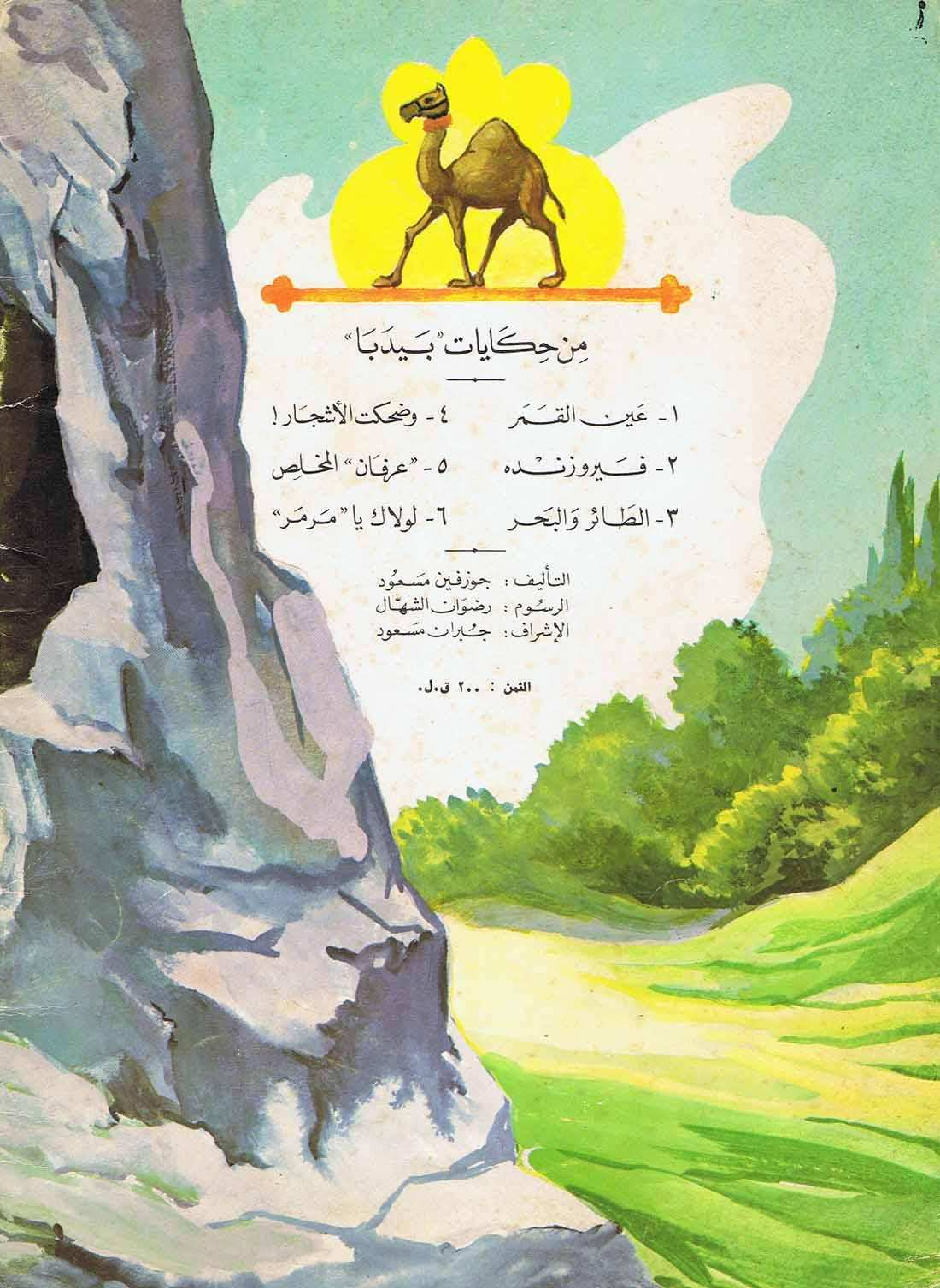
نَظَرَ ٱلْأَسَدُ إلى «عرفان» ، وَقالَ لَهُ مُبْتَسِماً :

ـ تَقَدَّمْ أَيُّها ٱلصَديقُ ٱلْحَبيبُ . إِجْلِسْ إلى جانِبي ، ولا تَتْرُكْني أَبـداً !

وَبَعْدَ أَيَّام شُفِيَ الأَسَدُ مِنْ مَرَضِهِ . عادَتْ إِلَيْهِ صِحَّتُهُ ، وَعادَ إلى ٱلصَّيْدِ .

وَعاشَ مَعَهُ «عرفان» عِيْشَةً سَعيْدَةً هَنِيَّةً !





من حكايات "بيدبا"
١ - عين القمر
٢ - فيروزنده
٣ - الطائر والبحر
٤ - وضحكت الأشجار!
٥ - "عرفان" المخلص
٦ - لولاك يا "مرمر"
التأليف : جوزفين مسعود
الرسوم : رضوان الشهال
الإشراف: جبران مسعود
الثمن : ٢٠٠ ق.ل.